بسم الله الرحمن الرحيم

١) مم يبنى الحضارة ؟

مصطلح (الحضارة) في اللغة العربية الدارجة مأخوذ من أصله الأوروبي وخاصة الانكليزي (CIVILISATION)، ويختص في الأصل والتقليد بالجانب المدني (وفي الأغلب المادي) من الحياة.

وفي العصور القديمة ~~الت~~ كانت الوثنية البراهمية في الهند، والفراعنة في مصر، والأنباط في جزيرة العرب، والأكاسرة في فارس، والملوك الفلاسفة في اليونان، والقياصرة في أرض الرومان هم بناة الحضارة بأوامر رئاسية وتسخير شعبي.

ثم جاءت المرحلة الحاضرة من مراحل التطور الحضاري مع بدايات ما سمي عصر النهضة أو الثورة الصناعية في أوروبا، وفي ما انتقلت اليه من مستعمراتها وبخاصة: أمريكا الشمالية.

وانتهى عهد التسخير المقنن وكذا تورية الفرد، ليحل محله عهد الحرية الشخصية، وسطوة الفكر والحزب، وتوجيه وسائل الاعلام.

وكان أبرز مقومات الحضارة الجديدة:

١) البحث والفكر والابتكار في سبيل المال أو الشهرة أو المنفعة.

٢) الصبر والمثابرة والأصرار.

٣) التطوع بالجهد أو الوقت أو المال، أو بهم جميعاً.

٤) التعاون لتحقيق هدف قريب أو بعيد لمصلحة عامة.

وتجتمع هذه الأسس (أو أكثرها) في الأمثلة التالية:

أولاً: في إحدى القرى الفرنسية، صرف ساعي البريد (٢٢) سنة من حياته وفراغه وفائض راتبه البسيط في بناء صرح كبير سمي بالمعبد الهندي لمشابهة نقوشه للمعابد الوثنية في الهند. وبعد عشرات السنين اعترفت الحكومة الفرنسية بانجازه فتم ضم هذا الصرح إلى معالم الحضارة الفرنسية.

ثانياً: في التلال السود من ولاية جنوب داكوتا الأمريكية قضى نحات أمريكي من أصل بولندي (٤٣) سنة من عمره في نحت جبل تذكاراً لزعيم الهندي أحمر قاوم حتى مات استيلاء المراجرة الأوروبية (وتم أحفاد هذا النحات) على أرض قومه.

وبعد موت النحات، (وبوصية منه) استأنفت زوجته وستة من أولاده محاولة تحقيق حلمه. وبعضه تفاصيل هذا المشروع تبين مدى الجهد والصبر والبذل والتفاني الذي يحتاجه بناء الحضارة المادية:

١) احتاجت بداية التنفيذ إلى بناء سلم خشبي يصعد النحات وينزل يومياً درجاته وعددها (٧٤١) درجة، ليعمل وحيداً بلا ماء ولا كهرباء ولا طريقة مقيد أكثر من أربعين سنة، حتى أقعده مرض الموت.

٢) بعد خمسة سنة من بدء التنفيذ، يحتفل في الشهر القادم باتمام الجزء الأول من المشروع. ولكنه موقعه ومخططه ومجسمه قد صار أثراً ورمزاً تشد له رحال السياحة يوم مر عليه عام ١٢٩٠ هـ.

٣) أزيلت حتى الآن ثمانية ملايين طن من الحجارة والتراب.

٤) صرفت حتى الآن عشرة ملايين دولار كلها من التبرعات ورسوم الزيارة.

٥) تبرعت مواطنة بستمائة وستة وأربعين ألف متر مربع من أجود الأرض الزراعية، وتبرع مواطن بعقار تقدر قيمته بمائتين وخمسين ألف دولار لصالح المشروع.

٦) أعداد كثيرة من المهندسين والمتطوعين والعمال والفنيين وضعوا أسماءهم على قائمة الانتظار الطويلة للتطوع بجهدهم وخبراتهم وأوقاتهم، مساهمة في تحقيق حلم المشروع. وفعلاً لكلمة محلية تقول: (اجعل هدفك القمة، فإنك لا تزال في متسع لك).

وللأسف فإنه أياً من هذه المشاريع لم يخل من رابطة الأرث الحضاري الوثني. ولكنه على مثل هذه الأحلام قامت آلاف الجامعات والمصحات والمتنزهات والخدمات الأخرى على الكتف الأيسر للدولة. وخير مثال عندي على ذلك أن ٩٠٪ من العاملين في القطاع المدني في مجموع الولايات المتحدة الأمريكية متطوعون جزئياً أو كلياً.

والآن أين موقع المسلم من هذا كله؟ قطعاً.. ليس التقاعس في الاستهلاك والتقليد النظري أو العملي، ولا البحث عن الأحلام والخيال والظنة والفلسفة، ولا تحطيم البشر وتحليد الأساطير، ولا الاعتماد على الأنفاق والأنجاز الحكومي وبذل

الوقت والفكر والجهد في محاولة استغلال ذلك لاقتناص أكبر منفعة ذاتية بأقل تضحية للدين أو للإنسانية، وقبل الضراعة بالاستعانة والغيبة والاحتجاج والشكوى وإلقاء اللوم على غيره.

وإذا كان الله قد ميز من كفر بالمتاع الدنيوي: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ فمن الشرع والعقل الاستفادة من ذلك لتحقيق ما ميز الله المسلم به: الدين والدعوة إليه: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ وعلى هذا فسبب وجوده أسمى من مجرد الشكل والعدد والشهرة، والمتاع الحيواني: الطعام والمنام والنكاح والتسليه.

وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد